

الإنسان في القرآن الكريم

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) [الإنشاق: 6]

* سليمان آيدين / Süleyman Aydın

- Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/ Research Article
- Geliş Tarihi/Date Received: 13.04.2020 • Kabul Tarihi/Date Accepted: 08.06.2020
- Yayın Tarihi/Date Published: 30.12.2020

الملخص

تمكّن هذه المقالة القارئ من معرفة نظرة القرآن الكريم للإنسان، فبيّنت فيها معنى الإنسان ومترادفاتة لغّةً واصطلاحاً، وكذلك وضحت ماهية كرامة الإنسان وما خلُق منه وما خلُق له وما خلُق عليه. ثم شرحت ضعف الإنسان خلُقاً وخلقاً وخلقته على الفطرة وكونه مدنيّاً ومدنيّاً وحرّاً بطبعه، وأنّ الإنسان سائر إلى ربه في طريقٍ يعاديه فيها إبليس وجنوده ونفسه، وكذلك أنّ الإنسان له أولٌ وآخرٌ، وبيّنت فيها أيضاً أنّ القرآن فحص الإنسان وكشف مرضه فهده إلى سبل العلاج والنجاة من الخسران والطغيان والكفران وأرشده إلى سبل الحفاظ على كرامته، وبيّنت فيها أيضاً أنّ الشيطان لما علم ضعف الإنسان استضعفه فجعله يتمنى ما فيه ذلّه وهوانه وما يؤديه إلى الهلاك والخسران في الأولى والآخرة.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، القرآن الكريم، الإعجاز العددي، كرامة الإنسان.

Kur'ân-ı Kerîm'de İnsan

Öz

Bu makale Kur'ân-ı Kerîm'in insana bakışı hakkında okuyucuyu bilgi sahibi kılmayı hedeflemektedir. Bu bağlamda öncelikle "insan" kelimesi ve eş anlamlıları lugavî ve istilâhî olarak açıklanmıştır. Daha sonra insanın üstünlüğü, mahiyeti, neyden, neden ve ne üzerine yaratıldığı ele alınmıştır. Devamında insanın hem maddî/fiziksel hem de manevî/ahlâkî zaafı, fitrat üzerine yaratılışı, tabii olarak medenî, mütedeyyin ve hürriyete olan meyli irdelenmiştir. Makalede üzerinde durulan bir diğer husus insanın başlangıcı ve sonu olduğu, onun İblis ve ordusunun ayrıca da kendi nefsinin düşmanlıklarına maruz kaldığı meşakkatli bir yolda Rabbine doğru yolculuk ettiği hususudur. Kur'an'ın insanı analiz edip hastalığını net biçimde teşhis etmek suretiyle onu inkardan, azımlıktan ve hüsrandan kurtaracak tedaviyi sunduğu ve şerefini korumasını sağlayacak yolu gösterdiği beyan edilmiştir. Şeytanın ise insanın bu zaafını öğrenince onu hafife aldığı, insanı kendisinin helakına, dünya ve

* أستاذ مشارك في كلية العلوم الإسلامية بجامعة يالوا. slaydinn@hotmail.com

ahirette hüsrânına, onurunun zedelenmesine sebep olacak şeyleri temenni edecek duruma sokmaya çalıştığı anlatılmıştır.

Anahtar Kelimeler: İnsan, Kur'ân-ı Kerîm, Sayısal İcaz, Ademoğlunun şerefi.

Abstract

The aim of this article is to provide the reader with an insight into the concept of "insan" (mankind) in light of the Holy Quran. The article begins with the definition of "insan" (mankind) and its synonyms. This is followed by an elaboration on the concept of dignity of mankind, the process of mankind's creation and for what purpose this creation takes place. The article continues to discuss topics such as the weakness of human nature, the concept of "al-fitrah", the idea that mankind is a social being and that he is inclined towards religion and freedom by creation. Finally, the article concludes with how the Holy Quran addresses the relation between man and Iblis (Devil), whose sole aim is to mislead mankind into failing in this world and in the hereafter.

Keywords: Mankind, The Holy Quran, Symmetry in the Quran, Dignity of Man

التقديم

الحمد لله الذي أحسنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ أَبِي الْبَشَرِ -آدم- مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ مِنْ مَنِي يُمْنِي ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَهُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ وَكَرَّمَهُ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَمَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَهَدَاهُ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ. وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رُسُلِهِ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ وَعَلَى رَسُولِهِ الْبَشِيرِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الَّذِي بَيَّنَّ لَنَا أَنَّ أَمْنَا حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ حَافِظُوا عَلَى كِرَامَتِهِمْ وَكَرَامَةِ بَنِي آدَمَ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ بَعْرَةً وَكَرَامَةً وَإِحْسَانًا إِلَى يَوْمِ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ.

أما بعد؛ فهذه مقالةٌ في التفسير الموضوعي في مفردة وموضوع (الإنسان) أردتُ أن أكتب فيه على منهج البحث العلمي الأصيل المؤصَّل في بحثٍ لا يخلو من إضافة جديدٍ أو جمع متفرِّقٍ من صحيحٍ وتحقيقٍ ما كتبه فيه الأولون من علمائنا الكرام والباحثين أو شرحٍ مغلقٍ أو تصحيحٍ قولٍ أخطأ فيه فائله أو ناقله أو اختصارٍ طويلٍ أو إتمامٍ ناقصٍ أو ترتيبٍ مختلطٍ فكتبته رجاء أن أنتفع به أنا ومن بلغه وأن أذكر نفسي والمؤمنين بالحفاظ على كرامتنا وكرامة الناس بالقول والعمل الكريمين. فرتبتها على تقديمٍ ومقدمةٍ ومبحثين وخاتمةٍ.

فأما التمهيد فقد ذكرت فيه خطة البحث ومحتوياته.

وأما المقدمة فقد جعلتها على مسائل ثلاثة:

المسألة الأولى: بيان معنى الإنسان لغةً واصطلاحًا.

المسألة الثانية: بيان الإعجاز العددي في لغة القرآن الكريم.

المسألة الثالثة: مترادفات القرآن وبيان الفرق بين (الإنسان والبشر وبني آدم ونفسٍ واحدة).

المبحث الأول: بيان كرامة الإنسان وطبيعة خلقه. وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: بيان كرامة الإنسان وما خلق منه وما خلق له.

المطلب الثاني: بيان ضعف الإنسان.

المطلب الثالث: بيان خلق الإنسان على الفطرة وبيان كونه مدنيًا ومدنيًا وحرًا بطبعه.

والمبحث الثاني: بيان مسيرة الإنسان ومبدئه ومنتهاه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أن الإنسان سائر إلى ربه في كبد ومشقة، طوعًا وكرهًا في طريق يعاديه فيها إبليس

وجنوده ونفسه.

المطلب الثاني: بيان أن الإنسان له أول وآخر.

الخاتمة، وهي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله المكرم، أسأله أن يجعلنا ممن يحافظ على كرامته بالقول الكريم الطيب والعمل الصالح الكريم، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، سبحانه ربنا رب العزة المستعان في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين.

المقدمة

المسألة الأولى: بيان معنى الإنسان لغةً واصطلاحاً:

القاعدة: الإنسان لغةً: اسم جنسٍ لكائنٍ حيٍّ مفكِّرٍ قادرٍ على الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقليّ، يقع على الذكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وإنسان يجمع على أناسيّ وأناسيّة وأناس، فالأناسيّ: أصله، أناسين، وقيل مؤنث إنسان: إنسانة والتحقيق: أنها لغةً رديئةٌ. أما النَّاسُ فاسمٌ للجمعِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَاحِدُهُ إِنْسَانٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ وَكَذَلِكَ مَفْرَدَةُ "الإنس" جمعٌ لمفردة "الإنسان"¹.

الإنسان اصطلاحاً: الإنسان هو الكائن المخلوق الذي له روحٌ وعقلٌ وجسدٌ سواءً أكان هذا الكائن ذكراً أم

أنثى مسلماً أم كافراً.

¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (أنس)، (963/3).

الإنسان في لغة القرآن: هو الكائن المكرّم الذي خُلق لعبادة الله وجُعل خليفةً في الأرض وله روحٌ وجسدٌ وعقلٌ وإرادةٌ وحريةٌ، وخُلق الذكر منه من ترابٍ والأُنثى من الصلح، وخُلق نسلهما من ماءٍ مهينٍ ونطفةٍ أمشاج، سواء أكان هذا الكائن ذكراً أم أنثى مسلماً أم كافراً.

الشرح: هذا وقد اختلف أهل العلم باللغة في سبب تسمية الإنسان إنساناً إلى خمسة أقوال:

القول الأول: هو مأخوذٌ من النسيان. قال عبد الرزاق في تفسيره: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّهُ عَاهَدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ" قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115].¹

قال الفراء: في الإنسان وجهان: يجوز أن يكون: إفعلاً، من: نسي ينسى، فيكون الأصل فيه: إنسياناً. والدليل على هذا أنهم يقولون في تصغيره: أنيسيان، وأنيسين. فعلى هذا الوجه إذا سمينا رجلاً بإنسان، لم نجره. أنشد الفراء:

وكانَ بنو إنسانَ قومي وناصري ... فأضحى بنو إنسانَ قوماً أعادياً²

قال أبو هلال في فروقه: "والتسنيان لا يكون إلا بعد العلم فسمي الإنسان إنساناً لأنه ينسى ما علمه عمداً وسهواً وسميت البهيمة بهيمةً لأنها أجهمت عن العلم والفهم ولا تعلم ولا تفهم فهي خلاف الإنسان والإنسانية خلاف البهيمة في الحقيقة وذلك أن الإنسان يصح أن يعلم إلا أنه ينسى ما علمه والبهيمة لا يصح أن يعلم".³

القول الثاني: اشتقاق الإنسان من الأنس. قال في نهاية الأرب: فاشتقاقه من الأنس نقيض الوحشة: لأنه يأنس ويؤنس به، أو لأنّ بعضهم يأنس إلى بعضٍ، أو لأنه يأنس ويؤنس بالحق والخلق فروحه تأنس بالحق وجسمه يأنس بالخلق. وبه أخذ بعض الشعراء في قوله:

وما سمى الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب⁴.

¹ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (المتوفى: 211هـ)، تفسير عبد الرزاق الصنعاني تحقيق محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1987م، (2/378).

² الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (المتوفى: 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1/383).

³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر (ص: 274).

⁴ شهاب الدين النويري، أحمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، (2/5).

قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن: "إنَّ لفظ الإنسان يأتي دائماً مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك ولا يتخلف في كلّ الآيات التي ورد فيها ذكر الإنسان. وملحظ الإنسية هنا بما تعني من عتم التوحش وهو المفهوم صراحة من مقابلتها بالجن في دلالتها أصلاً على الخفاء الذي هو قرين التوحش... وبهذه الإنسية يتميز جنسنا عن أجناسٍ أخرى خفيّة مجهولة لا تنتمي إلينا ولا تحيا حياتنا".¹

والخلاصة: الإنسى: منسوب إلى الإنسان، يقال ذلك لمن أكثر أنسه، ولكل ما يؤنس به. وقد سمي الإنسان بذلك؛ لأنه خلق خَلقة لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض. ولهذا قيل: الإنسان مدنيٌّ بالطبع؛ من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه ولا يستطيع أن يحيا بمفرده، ويحتاج دائماً إلى من يأنس. وقيل: سمي بذلك؛ لأنه يأنس بكل ما يألفه.²

القول الثالث: اشتقاق الإنسان من الإيناس، وهُوَ الإبصارُ والعِلْمُ والإحساسُ، لُوْقوفه على الأشياءِ بطريق العلم، ووصولِه إليها بطريق الرؤية وإدراكه لها بوسيلة الحواسِ.³

القول الرابع: اشتقاقه من النَّوْسِ وهُوَ التحرُّكُ. قال في البصائر: سُمِّيَ بذلك لتحركه في الأمور العظام، وتصرُّفه في الأحوال المختلفة وأنواع المصالح. والتركيب يدل على اضطرابٍ وتذبذبٍ. انتهى بتصرف يسير.⁴

القول الخامس: اشتقاق الإنسان من الإيناس، وهُوَ الإبصارُ والعِلْمُ والإحساسُ، لأنه يُرى عين اليقين ويُعلم بوسيلة الحواسِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَرَفَةَ الْمَلْقَبُ بِنَفْطَوِيَه: سَمِّيَ الْإِنْسَانُ إِسْمًا لِأَنَّهُمْ يُؤْنَسُونَ، أَي: يُرَوْنَ، وَسَمِّيَ الْجِنُّ جِنًّا لِأَنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَنِ رُؤْيَةِ النَّاسِ، أَي: مُتَوَارُونَ. كما في تهذيب الأزهري. ويقال: "آنست الشيء" إذا أبصرته، قال الله تعالى: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ أَي: أَبْصَرَ. قال في نهاية الأرب: قال أبو عمرو السيباني: أنه مشتق من الإيناس، الذي هو بمعنى الإبصار؛ وحجته قوله تعالى: ﴿إِنِّي آنست نارا﴾ أَي أَبْصَرت نارا.⁵

¹ بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، (المتوفى: 1419هـ)، القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين، (ص 377)، مقال في الإنسان دراسة قرآنية، دار المعارف، القاهرة، (ص 14).

² ينظر: الراغب الأصفهاني أبو القاسم، الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، (ص: 94).

³ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (15/ 423).

⁴ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (المتوفى: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (2/ 32).

⁵ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ مادة (أنس)، (6/ 16).

والخلاصة: إنّ كلمة "إنسان" في كلام العرب ترجع إلى معنى الظهور والتّسيان والأُنس والإناس.

المسألة الثانية: بيان الإعجاز العددي في لغة القرآن الكريم:

القاعدة: عدّ حروف القرآن وكلماته وآية وسوره مما يثاب عليه العادون، أما القول بالإعجاز العددي فغبيّ وضلالٌ. والقرآن كتابٌ عزيزٌ منزهٌ أن يعزّز ويكرم بأمرٍ ووجوهٍ مزخرفةٍ، ولا يمكن لمؤمنٍ منصفٍ بصيرٍ أن يعتبر هذا وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الحكيم الكريم المجيد.

الشرح: إنه قد وردت هذه المادة - إنسان - في القرآن الكريم تسعين مرةً على عشرين وجهًا من وجوه الاستعمال والدلالات. أمّا لفظ (الإنسان) مطلقًا فقد ورد (65) مرةً في (43) سورةً. وأمّا مقيدًا فقد ورد هذا اللفظ "الإنسان" معرفًا غير مجرورٍ بأل في (39) سورةً من سور القرآن الكريم، كلّها مكية إلا (6) سور، وهي: النساء والحج والأحزاب الرحمن والإنسان والزلزلة. تكرر هذا اللفظ (58) مرة في (56) آية من القرآن الكريم.

وأول مرة ورود الإنسان في القرآن بحسب ترتيب المصحف هو في الآية رقم: (28) من سورة النساء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَلِّعَلَى الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا﴾ وورد آخر مرة في الآية رقم: (2) من سورة العصر. كل ذلك مما يدلّ على اهتمام هذه الأمة بكتاب ربهم فيثاب عليه كلّ من ساهم فيه.

ويمكن لنا أن نقسّم الآيات بحسب المراد من لفظ الإنسان الوارد فيها إلى أقسامٍ: فمنه ما يراد به المؤمن والكافر معًا، ومنه ما يراد به المؤمن أو الكافر، ومنه ما يحتمل أن يكون المراد به المؤمن أو الكافر وهكذا.

أما ما قاله أصحاب الإعجاز العددي والتعليق عليه فكما يلي: ¹

فقال بعض أصحاب الإعجاز العددي إنه من عجائب الترتيب القرآني وكنوزه هنا:

أن مجموع أرقام الآيات التي ورد فيها لفظ "للإنسان" هو (166)، وهذا العدد هو نفسه مجموع أرقام ترتيب السور التي وردت فيها الآيات، فمجموعها هو أيضا (166).

- وأنه ورد لفظ الإنسان أول مرة في القرآن في الآية رقم: (28) من سورة النساء، وورد آخر مرة في الآية رقم: (2) من سورة العصر. فإذا أحصينا أعداد الآيات التالية لهذه الآية وحتى نهاية المصحف، سنجدها (58) آية لا غير. وهذا العدد هو أيضًا عدد مرات ورود لفظ "الإنسان" (معرفًا بأل) في القرآن.

¹ من القائمين به الدكتور أحمد محمد زين المتأوي في مقال نشره في موقع طريق القرآن عام 2016م، <https://quranway.com>

- وأنا إذا أحصينا أعداد آيات القرآن ابتداء من الآية (28) النساء، حيث ورد لفظ الإنسان أول مرة، وانتهاء بالآية (2) من سورة العصر حيث ورد آخر مرة، سنجد أن عددها هو: (5658) آية. وأنه يتألف من عددين هما: [58-56]، أما رقم [58] فهو عدد مرات ورود لفظ الإنسان. وأما رقم [56] فهو عدد الآيات التي ورد فيها، وسبب ذلك وروده مرتين في كل من الآيتين (11) من سورة الإسراء و(48) من سورة الشورى. وأن مجموع العددين هو (114) وهو أيضاً عدد سور القرآن الكريم.

- وأنه من عجائب الترتيب القرآني في موضوع " لفظ الإنسان في القرآن " أنه قد ورد هذا اللفظ (بجميع صوره) في (27) سورة من بين سور النصف الأول من القرآن، أي السور السبع والخمسين الأولى في ترتيب المصحف. وهذه السور هي: (15) سورة من بين سور الفواتح، مجموع أعداد آياتها (1084) و(12) سورة من بين السور غير ذات الفواتح، مجموع أعداد آياتها: (1198). وأن الفرق بين مجموعي الآيات هو: (114). وهذا هو عدد سور القرآن الكريم أيضاً!

- وأن عدد مرات ورود لفظ الإنسان بجميع صوره (65) مرة أي: (5 × 13)، عدد من مضاعفات الرقم: (13)، وقد وزع هذا العدد بين سور الفواتح والسور الأخرى: 39 مرة في سور الفواتح، أي: (3 × 13)، (26) مرة في السور الباقية، أي: [2 × 13] والفرق إن كنت ترى بين العددين 13.

أما التعليق عليه فنقول:

إنّ القول بالإعجاز العددي تكلفٌ وما ينبغي لنا أن نكون من المتكلفين، ثم هو مبنئ على شفا جرفٍ هارٍ، لأنه مخالفٌ للثوابت العلمية والواقع، لأنّ الأمة أجمعت على أنّ عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، وما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه توقيفيٌّ.

قال الداني: "أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: وخمس وعشرون آية، وقيل: وست وثلاثون آية، وذلك يرجع إلى اختلاف القراء البصريين والكوفيين والشاميين والمكيين والمدنيين في العدد، بسبب وقوف النبي صلى الله عليه وسلم على رءوس الآي، فمن نظر إلى الوقف قال إنها رأس آية، ومن نظر إلى الوصل لم

يقول إنها آية. قال العلماء - منهم الزمخشري - وآيات القرآن كلها توقيفية لا تعلم إلا من الشارع، لا مجال للقياس فيه.¹

إنه يجب علينا أن نُميّز بين القائلين بالإعجاز العددي فمنهم من يُطن الكفر والكيد ويريد أن يسقط حجية القرآن بإظهار التناقض في نصوصه، ومنهم من هو منا ابتلي بذكر الغرائب لا يدري ما يترتب على ما يقول. فعلينا أن نُميّز بين الفريقين فنعتبر ما يقوله الذين هم متّواجد شخصية خاصة بهم. بل نحن نريد أن يقول الناس ما يستشعرونه في ظلال القرآن وآياته شريطة أن لا يطغوا في الميزان فيفرضوا علينا قبول ما يستشعرونه وهم لا يشعرون ما في القرآن من الأسرار والحكم. ونريد أيضاً أن نوجههم توجيهًا حسنًا ونستفيد من قدراتهم وطاقاتهم.

المسألة الثالثة: مترادفات القرآن وبيان الفرق بين (الإنسان والبشر وبنی آدم ونفسٍ واحدة):

القاعدة: هناك كلمات مترادفة في القرآن يجب تفسيرها في ضوء علم الفروق اللغوية في كلام الله وكلام العرب، لا شك أن هناك فرقا بين مترادفات القرآن وكلام العرب، فالفوارق اللغوية في لغة القرآن وجه من وجوه إعجازه، والناس في بيان هذه الفروق ما بين مقتصد وقاسط غير مقتصد، فآدم أبو البشر من تراب الأرض قد انتشر، فمن قال إنه نسل من بشر قد قسط وشد ونشز وفجر. ومن قال إن آدم أبو الإنس وصف بصفات منها الإنسان والبشر فقد أقسط وما بتر، ومن قال إن المراد بالنفس الواحدة هو آدم عليه السلام فقد نفس عن نفسه وعن النفوس الأخر الهموم والكروب وشفي غليله وغليلهم، ومن قال إن أصل أول البشر والإنسان القردة فقد قرد وكفر، لا صلة بين الإنسان والقردة والخنازير، أما الصحابة الذين ظنوا أن القردة والخنازير الموجودين هم من نسل من مسخ من بني إسرائيل، فأجابهم بالنبي سيد البشر صلى الله عليه وسلم.²

الشرح: اختلف علماء اللغة في وقوع كلمات مترادفة في اللغة على مذهبين: ذهب فريق من العلماء إلى أن الترادف ثابت في اللغة وواقع فيها، ومن هؤلاء المثبتين الأصمعي، وسيويوه، وابن جني، والفيروزآبادي، وقطرب، والرماني. وذهب فريق آخر إلى إنكار الترادف في اللغة، وأوجبوا البحث عن فروقٍ دقيقة بين الألفاظ المتقارب، ومن

¹ أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (المتوفى: 444هـ)، البيان في عد أي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت الطبعة: الأولى، 1414هـ-1994م (ص: 79). وينظر: أبو شهبه، محمد بن محمد بن سويلم (المتوفى: 1403)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م (ص: 312). السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: 911هـ) الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م (1/ 232).

² ورد في صحيح مسلم، (4/ 2050) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلاً وَلَا عَقَبًا، وَقَدْ كَانَتْ الْقُرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ».

هؤلاء ابن الأعرابي، وثعلب، والثعالبي في " فقه اللغة"، وابن الأنباري في " الأضداد"، وأبو هلال العسكري، وابن فارس.¹

كذلك اختلف علماء علوم القرآن في وقوع كلماتٍ مترادفةٍ في القرآن. فمنهم من قال بوجودها ومنهم من قال بعدم وجودها.²

والتحقيق: إنّ هناك كلمات مترادفة في القرآن إلا أن فيما بينها فروقاً دقيقةً. أمّا ما قاله السيوطي: إن ما يُظن ترادفه فليس بمترادف في القرآن ففيه مبالغة لإفادة ما في مترادفات القرآن من فروق لم يتخيلها بلغاء العرب وفصحاؤها. وقال الزركشي: " فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإنّ للتكريب معنى غير معنى الأفراد ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقعاً الآخر في التكريب وإن اتفقوا على جوازه في الأفراد".³

وأما كلمة إنسان فقد تحدثنا عنها.

وأما كلمة بني آدم ففي وصفنا بها تشريف وتكريم لنا، ودلالة واضحة على أن آدم هو أبونا وأنه لا صلة بين الإنسان والقرود.

وأما كلمة بشرٍ فهي: أصلٌ واحدٌ، وتعني ظهور الشيء مع حُسنٍ وجمالٍ، فالبشرةُ ظاهرٌ جلدِ الإنسان، ومنه باشرَ الرجلُ المرأةَ، وذلك إفضاؤه ببشرته إلى بشرتها، وسُمِّيَ البشرُ بشراً لظهورهم وظهور بشرتهم وظهور شأنهم ولظهورهم على غيرهم، وذلك بخلاف الكثير من الكائنات الحية التي يغطي جسده الوبر والشعر والصوف، والبشيرةُ: الحسنُ الوجه. والبشارةُ: الجمالُ، ويُقالُ بَشَرْتُ فلاناً أبشَرُهُ تبشيراً.

وفي الصحاح تاج اللغة للجوهري (ت: 393هـ) "بشر" البَشْرَةُ والبَشْرُ: ظاهرُ جلدِ الإنسان، وبَشْرَةُ الأرض: ما ظهر من نباتها، وقد أَبْشَرَتِ الأرضُ، وما أحسن بَشْرَها، والبَشْرُ: الخلقُ. ومُبَاشَرَةُ المرأة: ملامسَتُها.⁴

¹ ينظر: بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، الطبعة: الثالثة، (ص: 211).
² ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، (4/ 78).
³ المرجع السابق.
⁴ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (المتوفى: 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، (2/ 590).

وفي مقاييس اللغة لابن فارس (ت: 395هـ): "بَشَرٌ" البَاءُ وَالشَّيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ: ظُهُورُ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَالْبَشَرَةُ ظَاهِرٌ جِلْدُ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ بَاشَرَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، وَذَلِكَ إِفْضَاؤُهُ بِبَشَرَتِهِ إِلَى بَشَرَتِهَا، وَسُمِّيَ الْبَشَرُ بَشَرًا لِظُهُورِهِمْ، وَالْبَشِيرُ الْحَسَنُ الْوَجْهِ، وَالْبَشَارَةُ، الْجَمَالُ.¹

وفي لسان العرب لابن منظور (ت: 711هـ): الْبَشَرُ: الْخَلْقُ يَقَعُ عَلَى الْأُنثَى وَالذَّكَرِ، وَالوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ، يُقَالُ: هِيَ بَشْرٌ، وَهُوَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ. وَقَدْ يُثْنَى، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47]²

وفي المصباح المنير للفيومي (ت: 770هـ): بَشَرٌ بِكَذَا يَبْشُرُ مِثْلُ: فَرِحَ يَفْرُحُ وَرَنًا وَمَعْنَى وَهُوَ الْإِسْتِبْشَارُ أَيْضًا، وَالْمُصَدَّرُ الْبُشُورُ، وَيَتَعَدَّى بِالْحُرْكََةِ فَيُقَالُ بَشَرْتُهُ أَبْشَرُهُ بَشْرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ فِي لَعَةٍ تَهَامَةٌ وَمَا وَالْأَهَاءُ، وَالِاسْمُ مِنْهُ بُشْرٌ بِضَمِّ الْبَاءِ، وَالتَّعْدِيَةُ بِالتَّنْقِيلِ لَعَةً عَامَّةَ الْعَرَبِ وَقَرَأَ السَّبْعَةُ بِاللُّعْتَيْنِ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنَ الْمُحَفَّفِ بَشِيرٌ وَيَكُونُ الْبَشِيرُ فِي الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَشْرَى فُعْلَى مِنْ ذَلِكَ. وَالْبَشَارَةُ أَيْضًا بِكَسْرِ الْبَاءِ وَالضَّمِّ لَعَةً وَإِذَا أُطْلِقَتْ اخْتَصَّتْ بِالْخَيْرِ، وَالْبَشْرُ، بِالْكَسْرِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالْبَشَرَةُ ظَاهِرُ الْجِلْدِ وَالْجَمْعُ الْبَشَرُ مِثْلُ: فَصَبَّةٌ وَقَصَبٌ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَاحِدُهُ وَجَمْعُهُ لَكِنَّ الْعَرَبَ ثَنَوْهُ وَمَ يَجْمَعُوهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ قَالُوا: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47]. وَبَاشَرَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ تَمَتَّعَ بِبَشَرَتِهَا. وَبَاشَرَ الْأَمْرَ تَوَلَّاهُ بِبَشَرَتِهِ.³

وفي تاج العروس للزبيدي (ت: 1205هـ): الْبَشَرُ: الْخَلْقُ، يَقَعُ عَلَى الْأُنثَى وَالذَّكَرِ، وَالوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ، يُقَالُ هِيَ بَشْرٌ، وَهُوَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ، وَهِيَ بَشْرٌ. وَفِي الْمِحْكَمِ: الْبَشْرُ، [مُحْرَكَةٌ]: الْإِنْسَانُ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَاحِدًا أَوْ جَمْعًا، وَقَدْ يُثْنَى، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47]. وَفِي الْمِصْبَاحِ: لَكِنَّ الْعَرَبَ ثَنَوْهُ وَمَ يَجْمَعُوهُ. قَالَ شَيْخُنَا، نَقْلًا عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْإِشْتِقَاقِ: سُمِّيَ الْإِنْسَانُ بَشْرًا لِتَجَرُّدِ بَشَرَتِهِ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ وَالْوَبَرِ.⁴

وفي بيان الفرق بين كلمة (إنسان) و(بشر) يقول أبو هلال العسكري (ت: 395هـ) في الفروق اللغوية: الفرق بين الناس والبشر: أن قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة، وذلك أنه مشتق من البشارة، وهي حسن الهيئة، يقال رجل

¹ ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، (1/ 251).

² مقاييس اللغة، (1/ 251).

³ أبو العباس الفيومي، أحمد بن محمد، (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، (1/ 49).

⁴ تاج العروس، (10/ 183).

بشيراً وامرأةً بشيرةً إذا كانَ حسنَ الهيئَةِ، فسَمِّيَ النَّاسُ بشِراً لأنَّهُم أحسنُ الحيوانِ هيئَةً، ويجوزُ أن يُقالَ إنَّ قولنا بشرٌ يقتضي الظُّهورَ، ومُثُّوا بشِراً لظهورِ شأنيهم، ومنه قيلَ لظاهرِ الجلدِ بشرَةً، وقولنا "النَّاسُ" يقتضي النَّوَسَ وهوَ الحركةُ، والنَّاسُ جمعٌ والبَشْرُ واحدٌ وجمعٌ، وفي القرآن: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ﴾. وتقول: مُحَمَّدٌ حَيْرُ البَشْرِ. يَعْنُونَ النَّاسَ كُلَّهُم، وَيُتَنَّى البَشْرُ فَيُقَالُ بَشْرَانٍ: ﴿لَيْبَشْرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47].¹

وفي حديث القرآن عن الكائن المكرم مرةً موصوفاً بلفظ إنسان ومرةً أخرى موصوفاً بلفظ بشر، وفي بعض الأحيان بهما معاً في آيةٍ واحدةٍ دليلٌ على أن لكلٍ منهما حكمة، وأن لكلٍ منهما موضعاً لا يمكن تعويض أحدهما في السياق القرآني. وهذا من باب تعدد الصفات فلا يلزم منها تعدد الذات.

وأما كلمة آدم فإنها اسمٌ مشتقٌ من صفة الأذمة، وهي السواد و السُمرة أو البياض، فسمي به آدم لأنه خلق من أديم الأرض لا لأجل اللون، وفي تسميته بهذا العلم إشارة إلى أنه خلق أول ما خلق من الأرض تراهما وطينها.² هذا وإن هناك أقوالاً أخر في بيان الفرق بين البشر والإنسان في القرآن الكريم يجب علينا ذكرها والتعليق عليها إتماماً للفائدة، منها ما يأتي:

- إن كلمة "البشر" تعني صفة الهيئة والصورة الحية والمرئية للمخلوق الإنساني وهي صفة لا تزول عنه إلا بعد الموت. وكلمة "الإنسان". تعني الصفة ذات العقل والنفس والإدراك للمخلوق البشري فبالعقل والنفس تميّز الإنسان عن باقي الكائنات الحية، فالإنسان بدون عقل و نفس سينحدر إلى مستوى باقي الحيوانات رغم بشريته. ولذلك أن القرآن الكريم عندما يخاطب البشر بمستوى عقولهم وما يحملون من نفس في داخلهم يناديهم بالإنسان. وعندما يريد القرآن الكريم أن يخاطب الإنسان في هيئته وصورته الحية يناديه أو يصفه بالبشر كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر 28 - 29] ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم 19] وبعبارة أخرى: إن كلمة "بشر" تدل على الصورة الطينية للمخلوق الذي لم تنفخ فيه الروح بعد فإذا تمت تسويته وتم نفخ الروح فيه

¹ ينظر: الصحاح، والمفردات للراغب، حسن المصطفي، مادة (بشر). والعسكري الفروق اللغوية، (ص 276).

² الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، (62/1). القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، (417/1).

أصبح "إنساناً" فيه نفسٌ وعقلٌ يدرك به ويميزه عن الكائنات الأخرى. فكلمة "البشر" هي صفة الهيئة والصورة الحية للمخلوق الإنساني وكلمة "الانسان". تعني الصفة ذات العقل والنفس والإدراك للمخلوق البشري.¹

- إن هاتين الكلمتين (الانسان - البشر) تدلان على كائنين واحدٍ، إلا أنهما تمّ استخدامهما بطريقةٍ مختلفةٍ في آيات القرآن الكريم، حيث استخدم القرآن الكريم كلمة بشر عندما أراد الله إظهار معنى المساواة، حيث إن جمع جميع البشر متساوون، بينما الاختلاف يظهر في الإنسانية. وبعبارة أخرى: إن صفة الأنس هي صفةٌ غير مشتركةٍ لجميع الناس، فالناس متفاوتون في الإنسانية منهم شقي خبيث، ومنهم سعيد طيب، على حين أن صفة البشر هي صفة مشتركةٍ لجميع الناس، فالناس متساوون في البشرية لكونها وجوداً فيزيولوجياً مادياً للإنسان. ولهذا فرقوا بين كلية الطب الإنساني وكلية الطب البشري.

- وإن هاتين الكلمتين الانسان والبشر تدلان على كائنين واحدٍ، إلا أنه إذا أراد القرآن بيان مرحلة التكوين العنصري للإنسان وأطواره فإنه يذكر كلمة "البشر" كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 28]، ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 33]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: 20]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71]. فآية "الفرقان" نصّت على المكون الأول "الماء"، وآية "الروم" نصّت على المكون الثاني "التراب"، وآية "ص" جاءت بياناً لامتزاج العنصرين لتشكيل تركيبة "الطين"، وما يطرأ لهذا الطين من تحولات "الحمأ والصلصال". وإذا أراد القرآن بيان مرحلة التكوين البيولوجي (النطفة، العلقة، المضغة، العظام...) فإنه يذكر كلمة "الإنسان" و"الناس": كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُبِّيبٍ لَكُمْ وَنُقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 12-16]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]،

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، أبي آدم، دار أخبار اليوم، القاهرة، (ص110).

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس:77]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَحَسَوَى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة:36-40].¹

والخلاصة:

- إن كلمة البشر في آيات القرآن الكريم تدل على المدح، على حين كلمة الانسان تدل على الذم وهو اسم جامع لجوامع الضعف والشر في آن واحد، قال تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، ﴿آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ وبعبارة أخرى: إن السياق الغالب على الإنسان هو الذم والسياق الغالب على البشر هو المدح. لأن كلمة البشر ترد دائماً في كلام عن نبي أو رسول سواء أكان الكلام منه عن نفسه أو من قومه عنه، أما كلمة الإنسان تصاحب أشياء توجب الذم.

- وإنه يطلق لفظ البشر على الشخص الذي لم يكتمل بعد بناؤه الروحي ولم يكن مكلفاً، على حين يطلق لفظ الانسان على الشخص المكلف الذي يستطيع الالتزام بما يأمره الله، ويقال إن كل إنسان هو بشر، وليس كل بشر إنسان.

والتحقيق: إن هذه الآراء والأقوال مما لم ينضج ولا يُسمن ولا يغني من جوع بل هي ذوات أكل خمط وأثل وشيء من سدرٍ قليل.

وأما القول بأن الإنسان أصله قرد فمبني على نظرية داروين في أن الإنسان والقرد من أصل واحد، وهي نظرية فاسدة وباطلة تدل على جهل وغفلة صاحبها وعلى كون ما قاله خرافة علمية يكذبها الواقع والشرع والعقل والعرف الخاص والعام معاً، وقلنا إن هذا القول مبني على نظرية داروين وهي نظرية التطور وهو لم يكن كافراً بالله، بل كان يهودياً يدهن الكنيسة، لكن نظريته هذه أدت إلى الإلحاد واستند عليها كثير من الملحدين، بل لم يقل إن الإنسان أصله قرد، وإنما قالها العالم (هيجل)، وهو الذي أدخلها في نظريته عام 1868م، وقد استندت عليها نظرية ماركس في المادية، وفي إنكار وجود الله وأن الحياة قائمة على الغذاء والسكن والجنس، واستندت عليها أيضاً: نظرية فرويد في التحليل النفسي، باعتبار الإنسان حيواناً جنسياً، وكذلك نظرية (برجسون) في الروحية الحديثة، ونظرية سارتر في الوجودية، وقد أدخلها هربت سبنسر إلى مجال علم الاجتماع، بل تعدت نظرية داروين إلى المجال السياسي

¹ ينظر: المرجع السابق.

واحتلال الدول العظمى للدول الضعيفة بناء على ما أصله دارون بأن البقاء للأقوى، وأن الحياة قائمة على الصراع، وأن هذا أمر طبيعي في هذا الكون!

ونظرية داروين تتلخص عنه في نقاط أربعة هي: 1-الارتقاء. 2-النشوء. 3-البقاء للأقوى. 4-الانتخاب الطبيعي.

وأما القول بأن القرد أصله الإنسان والقول بأن الكافرين أولاد القردة والخنازير فيحمل على الجدل والمنع والمجاز. والدليل على ذلك ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم على سؤال بعض أصحابه الذين بنوا سؤالهم على نظرية التطور، لكنها عكس نظرية داروين. فقد جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل القردة والخنازير الموجودون هم من نسل من مسخ من بني إسرائيل، فأجابهم بالنفي، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبَ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ». وصرح غير واحد من فقهاء الإسلام، كالنووي وابن حجر وغيرهما أنّ القردة والخنازير كانت موجودة قبل زمن المسخ، فيقول: قوله صلى الله عليه وسلم: "وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك" أي قبل مسخ بني إسرائيل فدل على أنها ليست من المسخ.¹

والذي جعلهم يسألون هذا السؤال هو ما جاء في بعض النصوص منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65]، وقوله: ﴿وَقُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]، وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 166].

ونحن نكتفي هنا في بيان كون هذا الادعاء وهمًا بذكر ما يلي:

أولاً: أنه أثبت العرف الخاص (عرف علماء علم الجينات) اختلاف الإنسان عن الحيوانات من حيث الجينات فمثلاً: تحتوي الخلية الجسمية في الإنسان على ستة وأربعين كروموسوماً ع لى حين تحتوي الخلية الجسمية في الشمبانزي والغوريلا على ثمانية وأربعين كروموسوماً إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: 38].

¹ النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392 (16/ 214)، وابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، (6/ 353).

ثانيًا: أن إبليس الذي هو ولي الذين كفروا رغم عداوته لآدم عليه السلام لا يقول بنظرية التطور، بل يقر بأمرين:

الأول: أن آدم مخلوق خلقه الله تعالى، وأنه خلق مستقل. الثاني: أنه مخلوق من ترابٍ وطين. كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 75-76].

أما الشطط الذي قاله جنود إبليس رغم امتناع إبليس نفسه أن يقوله فيفرض علينا أن نذكر قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175]، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16].

وأما القول بأن آدم هو أبو الإنسان وليس أبا البشر فقد ابتلي به بعض من نحسبهم من الصالحين من علمائنا. فمنهم عبد الصبور شاهين رحمه الله حيث ذهب إلى التمييز بين كلمتي "البشر" و"الإنسان" فقال: إن كلمة "بشر" تُطلق على الأطوار القديمة التي كان عليها الإنسان قبل استصفاء الله لآدم من بين بقية المخلوقات التي يطلق عليها "بشر"؛ فالبشر: تسمية لذلك المخلوق الذي أبدعه الله من الطين، فهو (البشر) لفظٌ عامٌ في كلِّ مخلوقٍ ظهر على سطح الأرض، يسير على قدمين، منتصب القامة، و(الإنسان) لفظٌ خاصٌ بكلِّ من كان من البشر مكلفًا بمعرفة الله وعبادته، فكلُّ إنسانٍ بشر، وليس كل بشر إنسانًا. وقال أيضًا: إن آدم هو أبو الإنسان وليس أبا البشر وإن آدم جاء مولوداً لأبوين، وأن حواء جاءت كذلك.¹

ومن سبقه بالابتلاء بأمثال هذه الفرضية من المعاصرين: طنطاوي جوهرى والشيخ المراغى وسيد قطب رحمهم الله حيث إنهم حاولوا إعطاء تفسيرات جديدة لبعض الآيات القرآنية، مستخدمين منجزات العلوم الحديثة فيها التي لم تثبت ولم تستقر فخالفوا في بعضها ما أجمعت عليه الأمة، ومن العجيب أن الدكتور عبد الصبور شاهين رفض ترقية أبي زيد إلى درجة أستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة، في العام 1993، منتقدًا آراءه القرآنية والحديثية التي خرجت عن إجماع الأمة. فسبحان من لا يسهو ولا يغلط.

ونحن نكتفي هنا في بيان كون هذا الادعاء وهماً أيضاً بذكر ما يلي:

¹ يراجع كتابه: أبي آدم، (104، 122).

1- إن هذا مخالفٌ لما اجتمعت عليه الأمة من أن آدم خُلِقَ من ترابٍ وحُلِقَتْ زوجته منه من ضلعه الأيسر وخلق نسله من ماء مهين، ومستند ذلك كله القرآن والسنة والواقع.

2- إن هذا مخالفٌ لما تدل عليه النصوص دلالةً قطعيةً، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: 7]، ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 17-18].

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد عن أبي هريرة بلفظ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ " ¹.

وأخرج البيهقي عن أبي أمامه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَاللَّهُ أَذْهَبَ فَخَرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَكَبَّرَهَا بِآبَائِهَا، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَحَوَاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ بِالصَّاعِ، وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ فَمَنْ أَتَاكُمْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ " ².

وأخرج البزار، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمٌ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ " ³.

وجاء في صحيح الجامع عن أبي هريرة " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ " ⁴.

¹ أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (14/ 349) رقم الحديث (8736).

² أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان باب (وما يجب حفظ اللسان منه الفخر) (7/ 131) رقم الحديث (4773).

³ أخرجه البزار، في البحر الزخار مسند البزار (مسند المستظل بن حصين عن حذيفة) (7/ 340) رقم الحديث (2938).

⁴ أخرجه الألباني في صحيح الجامع، حرف الألف (368/1) الرقم: (1787) الحديث: حسن (والجعل: دُوَيْبَةُ سوداء وهي ما تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْحُنْفُسَاءِ، "الَّذِي يُدْحِرُجُ" الحِرَاءَ بِأَنْفِهِ عُيْبَةٌ: مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ كِبَرٍ، "وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ).

وحديث: "يا أبا أمامه! ما أنا وأمةٌ سفعاءُ الخدَّينِ سفعاءُ المعصمينِ آمنتُ برَّبِّها وتحنَّنتُ على ولديها إلا كهاتينِ، وفرَّقَ بين السَّبَّابةِ والوسطى، واللهُ أذهبُ نَحْوَةَ الجاهليَّةِ وتكبُّرُها بأبائِها، كلُّكم لآدمِ وحواءَ، كطِفِّ الصَّاعِ بالصَّاعِ، وإنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكم، فمن أتاكم ترضون دينه وأمانته فزوجوه".¹

3- أن من ابتلي بمخالفة الإجماع يكون مضطرا إلى العثور على عظامٍ بشريةٍ نخرت ورمت وبلبت وعلى نتائج الحفريات التي تلقى في الحفرة. ذلك لأن التقديرات الجيولوجية لعمر الإنسان ليست حجةً، ولأنها تقريبية، وقد تحدث هزات أرضية فتنتقل العظام إلى طبقات من الصخور قديمة، لذلك لا يقاس عمر العظام بعمر الطبقات المتشكلة التي تضم العظام.

والخلاصة: هذا ادعاءٌ كاذبٌ ومخالفٌ للواقع، فالآيات تدل صراحة على أن آدم النبي هو أول البشر ولا توجد إشارات من قريب أو بعيد لوجود إنسان قبل آدم، فالإنسان منذ النشأة الأولى ترك شواهد وبصمات تدل على أنه منذ أن درج على الأرض إنسان ناطق متعلم، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، فأدم إضافة إلى أنه أبو البشر فهو أيضا أول الأنبياء، فكان متعلما ناطقا، له لغته التي يتخاطب بها، عارف بالأسماء ومسمياتها.

وبهذا يتبين لنا بطلان أقوالٍ تخالف ذلك، منها: أن الإنسان الأول على الأرض هو إنسان الكهوف الذي عاش كالحيوان ولم يعرف الحياة المدنية، أو لم يعرف النار والصناعات المناسبة له، قال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51].

وأما القول بأن النفس الواحدة في هذه الآيات ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 19]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا..﴾ [الزمر: 6]. هي نفس أخرى خلق منها آدم وحواء فكفرٌ وغبيٌّ وضلالٌ، لأن هناك آياتٍ كثيرةٌ تدل دلالةً قطعيةً على أن المراد بالنفس الواحدة هو آدم عليه السلام، منها ما قدمنا. ولأنه قد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ أَيْ: مِنْ قِصْبِرِي ضَلَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ أَسْفَلُ الْأَضْلَاعِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ بَعْضِهَا أَوْ خُلِقَتْ مِنْهَا كُلُّهَا. ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ

¹ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (باب وما يجب حفظ اللسان منه الفخر) (7/ 131)، رقم الحديث (4773). وسنده ضعيف.

فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ¹. ولأنه أجمعت الأمة على أن المراد بالنفس الواحدة هو أبونا آدم عليه السلام.

وفي ضوء ما قدمنا نستطيع أن نقول: إن هذه المفردات: (الإنسان، البشر، بني آدم) لمسمى واحد، فآدم إنسان وبشر، أما نحن نوصف بثلاثتها كلها. وآدم وُصِفَ بإنسان لأنه يأنس ويؤنس، ووُصِفَ ببشر لأنه ظاهر جماله وحسنه وشأنه وأظهره الله على كثير ممن خلق. وسخر له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما في جو السماء. والمراد من النفس الواحدة في آية النساء وأمثالها هو آدم عليه السلام، وفي وصفنا بني آدم إشارة إلى حقائق كثيرة:

منها: أن أبانا آدم هو أول البشر وأنه خلق مستقل.

ومنها: أن أبانا آدم مكرمٌ ومعصومٌ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..﴾ [الإسراء:70]، لأنه لو لم يكن معصوماً ومكرماً لما وصفنا الله في مقام المدح والتكريم والتشريف بهذا الوصف.

ومنها: أن القرد ليس أصلاً للإنسان ولا فصلاً عنه.

المبحث الأول: بيان كرامة الإنسان وطبيعة خلقه وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: بيان كرامة الإنسان وما خلق منه وما خلق له.

المطلب الثاني: بيان ضعف الإنسان.

المطلب الثالث: بيان خلق الإنسان على الفطرة وبيان كونه مدنياً وتمدنياً وحراً بطبعه.



¹ أخرجه مسلم، في الصحيح (باب الوصية بالنساء) (2/ 1091) رقم الحديث (1468)، وأخرجه البخاري في الصحيح، (باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته) (4/ 133) رقم الحديث (3331).

المطلب الأول: بيان كرامة الإنسان وما خلق منه وما خلق له:

القاعدة: الإنسان هو الكائن المكرم الذي خلقه الله في أحسن تقويم لعبادته وجعل له روحا وجسدا وعقلا وإرادة وحرية وجعله خليفة في الأرض، وخلق الذكر منه من تراب والأُنثى من الضلع وخلق نسلهما من ماء مهين ونطفة أمشاج، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مسلما أم كافرا.

الشرح: إذا دققنا النظر في القرآن نجد أن هناك آيات كثيرة تدل على صحة هذه القاعدة.

أما الإنسان هو الكائن المكرم فلقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، أي ولكون الله أمر الملائكة الذين قال الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، والذين قال عنهم رب العزة: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَاقِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: 75] بالسجود لهذا الإنسان آدم عليه السلام سجدود تحية وتعظيم.

وأما أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم فلقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، ثم أخبر أنه يرده أسفل سافلين إذا لم يحافظ على كرامته بالإيمان والعمل الصالح والصبر، واتباع الحق واجتناب الباطل ويجعله من الأخسرين في الدنيا والآخرة.

لا شك أن الله لم يخلق الإنسان مكرما فقط بل أنزل أحكاما في كتبه وصحفه على لسان رسله لحفظ كرامته. منها الأحكام التي تتعلق بحفظ دينه وعقله وعرضه وماله ونفسه وحرية فقال له: اعبد الله ولا تشرك به شيئا، لأن الشرك ظلم عام ومطلق يجعل الإنسان مهانا، وقال له لاتزن لأن في الزنا قتلا وإهانة للإنسان والمجتمع الإنساني، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]، وقال له لا تشرب الخمر لأن الخمر أم الخبائث التي تذهب كرامته، ولأن الخمر وما في حكمه كل ذلك يخر العقل ويستتره ويغطيه فيجعل الإنسان لا يدري ما يقول ويفعل بل يجعله مهانا، وهكذا، ثم إنه تعالى بين أن الإنسان يزيد كرامة إلى كرامته بالتقوى فكلما زاد تقواه زادت كرامته، وبالتالي أبطل التفاضل والتفاخر والتكاثر بالأموال والأولاد والأنساب لنسب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] .

وأما الإنسان له روح فلقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]-
ص: [72]، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:
9].

وأما أنّ الله خلق الإنسان لعبادته وجعله خليفة في الأرض فلقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
[الذاريات: 56]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ [البقرة: 30]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ [البقرة: 256]، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [الأنعام: 65]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..﴾
[الكهف: 29]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [فاطر: 39]، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

وأما الإنسان خلق الذكر منه من تراب والأنتى من الضلع وخلق نسلهما من ماء مهين ونطفة أمشاج فلايات
كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل
عمران: 59]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: 4]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ
الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ..﴾ [الحج: 5]، ﴿هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ..﴾ [غافر: 67]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ..
﴾ [الإنسان: 2]، ﴿أَلَمْ نُخَلِّقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً..﴾ [النساء: 1].

وأما الإنسان يطلق على الذكر والأنتى أو المسلم والكافر فلنصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ﴿وَإِذَا
مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: 19-21]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15]،
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

﴿جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، ﴿أَجْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخْلَقَ فَسْوَى﴾ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: 36-39].

وفي ورود كلمة الإنسان في سورة الإسراء سبع مرات إشارة إلى ذلك حيث إنه قد جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، وأن فيها حادثة الإسراء التي هي أكبر كرامة لبني الإنسان، وفي إطلاق كلمة الإنسان على سورة في القرآن ووردها فيها، وفي إعلان ربنا في الملاء الأعلى عن ولادته قبل أن يولد وعن وظيفته قبل أن يوجد إشارة إلى ما قدمنا أيضا. حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

وفي ورود لفظ الإنسان في القرآن الكريم تسعين مرة، على عشرين وجهاً من وجوه الاستعمال والدلالات، وفي حديثه - خلال هدايته للناس وإرشاده لهم- عن جسم الإنسان بتفصيلٍ دقيقٍ إشارةً إلى ما قدمنا أيضا، حيث ذكر: النفس: في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41]، والجسم: في قوله: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة: 247]، والوجه: في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6]، والرأس: في قوله: ﴿وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150]، والناصية: في قوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْتَفَعًا بِالْناصِيَةِ. ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ﴾ [العلق: 15، 16]، والجبين: في قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصفات: 103 - 105]، والعين: في قوله: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: 61]، والخذ: في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ [لقمان: 18]، والأنف: في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [المائدة: 45]، والأذن في قوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾ [نوح: 7]، والشم: في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 167]، والشفة في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: 8، 9]، والسن: في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45]، واللسان: في قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]، والخلق: في قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ [الواقعة: 83-84]، والحجارة: في قوله: ﴿وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18]، والذقن: في قوله: ﴿وَيَجْرُونَ لِأَذْقَانٍ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109]، والرقبة: في قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا

الْوَثَاقِ ﴿محمد: 4﴾، والعنق: في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْصَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 33]، والترافى: جمع ترقوة، والترقوة: هي العظام المحيطة بفقرة النحر في قوله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِيَ﴾ [القيامة: 26]، والصدر في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: 25-26]، والقلب: في قوله: ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطَمِّنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260]، والجلد: في قوله: ﴿وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: 21]، العظم: في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، اللحم: في قوله: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12]، والجنب: في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، والظهر: في قوله: ﴿يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ﴾ [التوبة: 35]، والبطن: في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32]، والأمعاء: في قوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15]، والعضد: في قوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكَمَا سُطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: 35]، والمرفق: في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6]، واليد: في قوله: ﴿يُجْرَبُونَ بِمُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، والأصابع: في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19]، والبنان: في قوله: ﴿تَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: 4]، والأعنة: في قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: 119]، والساق: في قوله: ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 29-30]، والأرجل: في قوله: ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلًا يَمْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 195]، والأقدام: في قوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]، والكعبين: في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6].

وفي إخباره تعالى عن أنه يخلق كل ما يتعلق بالإنسان من المراحل التي مرَّ بها والأعمال التي يعملها والأشياء التي خلقها له تكريم وتشريف له أيضا. ومن النصوص التي تدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، ﴿مَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿الرُّومُ: 21﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: 96]، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ يَرْبِّكَ الْكَرِيمِ .
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 6-7].

وأما كون بعض الآيات التي جاءت في خلق آدم يدل على أنه خلق من تراب أو طين، أو طين لازب أو من حمأ مسنون أو من صلصال كالفخار فلا يضر لأنه من باب وقوع المخبر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتى كلفظ ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7]، ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: 11]، ﴿مَنْ حَمِئًا مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26، 28، 33]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، بل إن هذه ألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير الطين، والطين غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر واحد، وهو التراب، ومن التراب درجت هذه الأحوال لأن التراب إذا وضع فيه ماء صار طينا وهكذا، وبهذا نكون قد أزلنا التناقض الذي يتوهمه الجاهلون من ظاهر هذه النصوص وأمثالها. وكذلك الأمر في الآيات التي جاءت في خلق بني آدم أي نسله. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ..﴾ [الحج: 5]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ..﴾ [غافر: 67].

وأما كون بعض الآيات التي تدل على أن الله خلقنا من تراب وبعضها الآخر تدل على أن الله خلقنا من ماء مهين مني يخرى فلا يضر لأن الله بدأ خلق الإنسان من تراب وطين وجعل نسله من ماء مهين مني يخرى قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 7-9]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا..﴾ [فاطر: 11].

المطلب الثاني: بيان ضعف الإنسان.

القاعدة: الإنسان ضعيف، خلق ضعيفا في أحسن تقويم ووصف بأوصاف كلها تدل على ضعفه إلا أن هناك فرقا بين ضعفه المعنوي وضعفه المادي، فالأول ينجبر ويعالج فيلأم على عدم معالجته، ومنه أنه عجول خصيم لربه، كفور بنعمه، وكنود لربه، وهو فقير إليه، يؤوس قنوط، فرح فخور، ناس فاجر، طاغ قنور وبخيل، هلوع ممنوع للخير،

جزوع عند الشر، ظلوم جهول، مسرف كذاب ومجادل مبين، والثاني ليس مما ينجبر ويعالج إلا أنه لا يلام عليه ولا يهان بل في ضعفه المادي حكمة.

الشرح: إذا دققنا النظر في القرآن نجد أيضا أن هناك آيات كثيرة تدل على صحة هذه القاعدة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:54]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:54]، ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ..﴾ [الأنبياء:37]، ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:11]، ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يسن:77]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:15]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَرْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:67]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:66]، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:15]، .. وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا وَإِن تَصَبَّهْمُ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:48]، ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس:17]، ﴿وَلَيْئِن أَذَقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود:10]، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:15]، ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:27]، ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة:5]، ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ [الإسراء:83]، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتِنُونَ﴾ [الروم:36]، ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسَّأُ فَنُوطٌ﴾ [فصلت:49]، ﴿الَّذِينَ يَبْتِخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ..﴾ [النساء:37]، ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ حَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:100]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 19 - 35]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ .

إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون: 1-11﴾، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: 48، 8]، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، وفي ذكر هذين الوصفين هنا حكمة فلأنه لو لم يكن الإنسان موصوفا بالظلم والجهل لما تحمل الأمانة ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَىٰ . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس: 6-7]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسْبِيهِ وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6]، أي لكفور جحود من كند النعمة كفرها ولم يشكرها ولام التعريف في (الإنسان) للجنس والحكم عليه بما ذكر باعتبار بعض الأفراد، وقيل: المراد به كافر معين لأنه لا يليق إلا بالكافر، وفي الأمرين نظر، وقيل المراد به كل الناس على معنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك.¹

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12] ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ . ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [النحل: 53 - 55] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: 8] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: 49]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: 15 - 16]، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾ [آل عمران: 14]، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: 59].

¹ ينظر: الألوسي (المتوفى: 1270هـ) تفسير الألوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، (445/15).

والخلاصة: وصفات الإنسان التي ينفرد ويتميز بها عن غيره كثيرةٌ جدًّا ومما وردت في القرآن من هذه الصفات:

1. خلقه في أحسن تقويم، 2. ضعفه، 3. تعجله، 4. جداله، 5. يأسه وقنوطه: فاليأس: أن ينقطع قلب الإنسان عن رجاء الحصول على الشيء، والقنوط: أن يظهر أثر ذلك اليأس على وجه الإنسان وهيئته، بأن يبدو منكسرا متضائلا مهموما، فكأن اليأس شيء داخل من أعمال القلب على حين القنوط من الآثار الخارجية التي تظهر علاماتها على الإنسان،¹ 6. تقثيره وبخله أي بخيل شحيح مبالغ في البخل والإمساك والمنع والتضييق مضيق، 7. هلوعه: ﴿هَلُوعًا﴾ صيغة مبالغة من الهلع ومعناه في اللغة: أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه.² وبعبارة أخرى هو إفراط النفس، وخروجها عن التوسط والاعتدال، عند السراء أو ضراء.³ 8. طغيانه، 9. كفره وجحوده ونكرانه للنعم، 10. فرحه وفخره، 11. خصومته لربه، 12. ظلمه، 13. مبالغته في كفره، 14. حبه للشهوات، 15. جهله، 16. خسرانه، 17. إعراضه، 18. والخوف، 19. عصيانه وارتكابه الذنب وإسرافه فيه، وقد اكتفينا بشرح بعضها خشية التظويل.

وفي كون أول حديث عن الإنسان في القرآن هو ضعفه وكون ذلك في سورة النساء التي هي سورة المستضعفين

بامتياز، لورود كلمة "المستضعفين" فيها أربع مرات وعدم ورودها في سورة سواها إشارات إلى ما قدمنا.

ولنا أن نتفاءل بهذا فنقول: إنَّ هذا من رحمة الله بالإنسان، ليعامله معاملة الضعفاء وليحاسبه محاسبة الضعفاء.

والخلاصة: الإنسان ضعيفٌ خَلِقَةً وَخُلُقًا أما خَلِقَةً: فظاهر ما قدمناه، وأما خُلُقًا: فلأنه لا عزم له فلا يصبر

على طاعة ربه ولا يصبر عن معصيته ولا يصبر على ما أصابه بل هو مستكبرٌ فاجرٌ جزوع؛ إلا أن هذا ينجبر بالعلم والإيمان بالله ملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والعمل الصالح والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

وبعبارةٍ أخرى: إنَّ الإنسان ضعيف وإنَّ ضعفه ينقسم قسمين: 1. ضعف الجسد وحقارة وهوان مادة الخلق.

2. ضعف النفس وسوء الطوية.

¹ سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، (12/ 364).

² التعلبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: 875هـ) تفسير التعلبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ، (10/ 39).

³ التفسير الوسيط، (15/ 99).

وهذا مما يدل عليه الشرع والواقع، أما الحكمة من خلقه ضعيفاً فلكي لا يطغى ولا يكفر ولا يفجر بالاستغناء، وإن القرآن فحص الإنسان وكشف مرضه وضعفه فهداه إلى سبل العلاج والسلام والسلامة.

المطلب الثالث: بيان خلق الإنسان على الفطرة وبيان كونه مدنياً ومرتدياً وحرّاً بطبعه:

القاعدة: الإنسان خلق على الفطرة وألهم ما فيه فجوره وتقواه، شكره وكفره وحُيّر بينهما إلا أنّ فطرته مائلة إلى الشكر والتقوى ومائلة عن الكفر والفجور، والإنسان حرٌّ ومسؤولٌ ومدنيٌّ ومرتديٌّ بطبعه بل هو معصومٌ وطاهرٌ أصله.

الشرح: إذا دققنا النظر في القرآن نجد أيضاً أن هناك آيات كثيرة تدل على صحة هذه القاعدة، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَاكَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرُوا أَنتَ بَيِّنَةٌ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَإِن مِّن نَّاسٍ عِندَهُ بِحُكْمٍ ۗ﴾ [الرؤم: 30]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۗ﴾ [الأعراف: 172]، قال ابن كثير رحمه الله: "قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإِشهاد إنما هو فطرته على التوحيد"¹ وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإِشهاد إنما هو فطرته على التوحيد، ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَآؤُونَ ۗ﴾ [النحل: 53]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ [الإسراء: 67]، ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُا لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]، ﴿وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعَاؤُا لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ﴾ [الكهف: 29]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

أما الحكمة من خلقه على الفطرة مائلاً إلى الشكر ومائلاً عن الكفر مخيراً بينهما فهي: رحمته تعالى وليتحقق الابتلاء والاختبار.

وأما كون نفس الإنسان الأمانة بالسوء أهدمت فجورها وتقواها فيدل عليه الواقع و الشرع، فأما الواقع: فلا يحتاج إلى بيان، وأما الشرع: فلنصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 7-10]، ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۗ إِنَّا نَفْسٌ لَّامَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: 53]، ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنفُسَكُمْ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32].

¹ ابن كثير، تفسير ابن كثير، (3/ 456).

وأما كون الإنسان متدينًا بطبعه: فيدل عليه الواقع والشرع، فأما الواقع: فلأننا إذا نظرنا إليه نجد أنّ الإنسان إذا أصابه هول وهلاك من غرق وحريق وزلزال توجه بتضرعه إلى الله وحده لا شريك له، فأخلص له التوحيد، وأفرد له الطاعة، وأذعن له بالعبودة، ولم يستغث بأحد غير الله الذي خلقه، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوها في البحر وقالوا يا ربنا يا ربنا، وأما الشرع: فلنصوص كثيرة (منها ما قدمنا)، ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ " ¹ وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: " وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، " ².

وأما كون الإنسان حرًا بطبعه: فيدل عليه الواقع والشرع أيضًا. فأما الواقع: فإنّ الإنسان يولد حرًا ويعيش حرًا وإن شاء كفر وإن شاء شكر. أما كونه يبيع حريته أو تسرق منه حريته وتأخذ أو تضيق عليه فيما كسبت أيدي الناس. فالله بريء مما يفعلون. والحرية في الإسلام مطلقة وتبقى مطلقة ما لم يكن فيه ضرر ولا ضرار ولا فوضى. وأما الشرع: فلنصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]. ويضاف إلى ذلك أنّ الإسلام لم يكتف بهذا بل أنزل أحكامًا لتمكين الإنسان من حريته التي ضاعت منه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: 92] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: 3]. وبناء على ذلك نستطيع أن نقول: أن كل ما فيه مساس بحرية الإنسان حرام.

وأما الإنسان مسؤول وعلى نفسه بصيرة: فيدل عليه الواقع والشرع أيضًا. فأما الواقع: فإنه يدل على أنّ الإنسان مكلفٌ ومسؤولٌ ومسؤولية فردية. وأما الشرع: فلنصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، ﴿وَكُلِّإِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36 و 13]، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، ﴿وَقَفُّهُمْ بِهِ إِتْمَمَ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: 24]، ﴿أَلَا تَرَى زُرَّةً وَأَزْرَةَ وَزَرَ أُخْرَى . وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

¹ أخرجه مسلم في الصحيح (باب معنى كل مولود يولد على الفطرة) (4/ 2047)، رقم الحديث (2658).

² أخرجه مسلم في الصحيح (باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا) (4/ 2197)، رقم الحديث (2865).

سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿النجم: 38-41﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿المدثر: 38﴾، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿الأعراف: 6﴾، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿الحجر: 91﴾، ﴿وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿غافر: 47-48﴾، ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿العنكبوت: 2﴾ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿القيامة: 36﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿الزلزال: 6-8﴾، وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: سمعت رسول الله - صلي الله عليه - وسلم يقول: " أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ، وَكُلكُمْ مَسْتَوْلٌ عَن رَعِيَّتِهِ " ¹.

قال عبد الكريم زيدان رحمه الله: ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام، تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع، وإزالة الفساد منه على قدر طاقته، ووسعه، والتعاون مع غيره، لتحقيق هذا المطلوب، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿المائدة: 2﴾ ².

هذا وإنه يمكن أن يقال إن هناك تلازماً بين المسؤولية والحرية. لأن الحرية بدون مسؤولية تكون ناقصة بل تكاد منعدمة وكذلك الأمر في المسؤولية بدون حرية.

وأما أن الإنسان مدني بطبعه: فيدل عليه الواقع والشرع أيضاً. فأما الواقع: فلأننا إذا نظرنا إليه نجد أن الاجتماع الإنساني ضروري، فالإنسان مفتقر إلى الصحبة بالضرورة، لأنه خلق خلقاً لا يستقل بمعايشه ولا يستبد بمنافعه ولا يمتل العزلة والبقاء وحيداً وبعيداً عن نشاطات أفراد مجتمعه. بل هو مفتقر في ذلك إلى غيره، وكان ذلك الغير إما مجتمعاً معه وإما مابيناً عنه، والمنفعة التي يفتقر إليها إما حاضرة وإما غائبة... إلخ. ³ فهذا يحث وذلك يطحن وذلك يجبز وذلك ينسج وهذا يخيظ، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. ⁴ وأما الشرع: فلنصوص كثيرة منها: آيات الأحكام كلها. أما ما يتعلق منها بالعبادات فكذلك وإن كان

¹ أخرجه مسلم في الصحيح (باب فضيلة الإمام العادل) (3/ 1459)، رقم الحديث 1829.

² عبد الكريم زيدان أصول الدعوة، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1396 هـ، (ص 122).

³ ابن العربي، (المتوفى: 543هـ)، الحصول، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة، دار البيارق - عمان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 (ص: 28).

⁴ الرازي، (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ (26/ 386).

بعضها يحتاج إلى تأويل، لأنه ما من آية من آيات الأحكام إلا ولها تعلق بالاجتماع الإنساني أو المجتمع الإنساني صراحة أو ضمناً. ومنها: كل آية تنظم علاقة النسب والمصاهرة بين المسلم وغير المسلم، والعلاقات التجارية والمالية، وعلاقات السلم والحرب. وغيرها من المعاملات والروابط.

ومنها: ما روي عن ابن عمر، أنه قال قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ." ¹ فهذا إذا كان المقصود هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن خالط الناس، ودعاهم إلى الله، ووعظهم، ونصحهم، وذكرهم، وصبر على أذاهم في سبيل ذلك؛ فهو خير ممن لا يخالطهم.

ومنها: ما روي عن أبي ذر أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ" ². وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَالنَّافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ وَامَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" ³

قال النووي رحمه الله: " فِيهِ فَضِيلَةُ مَجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْحَيْرِ وَالْمُرُوَّةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيِ عَنِ مَجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَمَنْ يَعْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْتُمُ فُجْرَهُ وَبَطَالَتَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ." ⁴

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: "هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الْكِتَابِ وَاللَّبَنِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْكِتَابُ وَاللَّبَنُ؟ قَالَ: "يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدْعُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُوعَ وَيَبْدُونَ." ⁵

عن عقبه بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فذكره. نعم يتركون الصلوات ويذهبون إلى البادية، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "مَنْ بَدَأَ جَفَا فالبعد عن الجماعة، وعن جماعة المسلمين هو سبيل الهلاك وسبيل السقوط في شباك الشيطان - أعاذنا الله جميعاً.

¹ اخرجه الترمذي، في السنن، (243/4) رقم الحديث (2507).

² اخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه) (58/7) رقم الحديث (4639).

³ اخرجه البخاري في الصحيح: (باب المسك) (96/7) رقم الحديث (5534)، وخرجه مسلم في الصحيح (باب استحباب مجالسة الصالحين) (2026/4) رقم الحديث (2628). يُحَدِّثُكَ [يعطيك].

⁴ النووي، شرح النووي على مسلم، (16/178).

⁵ اخرجه أحمد في المسند، (مسند عقبه بن عامر الجهني) (632/28) رقم الحديث 17415.

ومنها: ما جاء عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. " ¹

لما كان الاجتماع الإنساني أو المجتمع الإنساني ضروريا للإنسان فلم يكتف الإسلام بالأمر بتأسيسه بل نهي وحرم في مقابل ذلك كل ما يؤدي إلى هدم وتخريب ذلك من الخلاف والنزاع، والفرقة والكفر والابتداع، والظلم والنزاع، والبغي والفساد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ؛ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون 52-53]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَتَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَبِيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ؛ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 103-105]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2].

وأما الإنسان معصومٌ وظاهرٌ أصله: فيدل عليه الواقع والشرع أيضًا. أما أول الإنس آدم معصوم: فلأنه نبيٌّ مكلمٌ، ولأنه من تراب طاهر. وأما نسله: فأصله معصوم عن أن يولد على الكفر لأنه يولد على الفطرة ولأنه خلق من ماء طاهر في أصله.

أخرج ابن أبي شيبة والطبراني وأبي الشيخ عن أبي ذر قال: " قلت يا رسول الله أ رأيت آدم أنبيأ كان؟ قال: نعم. كان نبياً رسولاً كلمه الله قبلاً، قال له: ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ " ².
وأخرج والطبراني عن أبي ذر قلت: " يا رسول الله من أول الأنبياء؟ قال: آدم. قلت: نبي كان؟ قال: نعم مكلم. قلت: ثم من؟ قال: نوح وبينهما عشرة آباء " ³.

¹ أخرجه مسلم في الصحيح (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (4/ 1999) رقم الحديث (2585).

² أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، 300/4، (4259). وابن أبي شيبة في المصنف، 265/7، (35933). وأبي الشيخ الأصبهاني، العظمة، (1553/5).

³ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، 77/5، (4721).

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:23]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:115 و 121]. وقال ابن قتيبة رحمه الله: "وقد أكل آدم، من الشجرة التي نهي عنها باستدلال إبليس وخداعه إياه بالله والقسم به إنه لمن الناصحين، حتى دلّاه بغرور. ولم يكن ذنبه عن إرصاد (إعداد) وعداوة وإرهاص (إصرار) كذنوب أعداء الله. فنحن نقول: (عصى وغوى)، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم (عاصٍ ولا غاوٍ)، لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدّم ولا نية صحيحة".¹

أي لم يكن هذا التفريط، لأجل هوى وحظ يراحم الإلهية بل لأجل تسهيل أمر الفطام فطام آدم عن الإقامة بالجنة لأنه لو لم يخلق الله هذا لصعب على آدم عليه السلام الهبوط من الجنة ومما يؤيد هذا أن الله خلقه ليكون خليفة في الأرض، أي خلقه في الجنة لا للإقامة بها،

هذا وإنه قد اختلف العلماء هل المني طاهر أولا؟ وقيل: طاهر لأن هذا الماء أصل عباد الله المخلصين من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وتأبى حكمة الله تعالى أن يكون أصل هؤلاء البررة نجسا انتهى². ولما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: " وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي أَفْرَكُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكًا فَيُصَلِّي فِيهِ ".³ فدل ذلك على أنه طاهر، إذ لو كان نجسا لغسل لما اكتفي به بالحك والتنظيف بإزالته بدون ماء. لأن fark لا يكفي لإزالة النجاسة. وقيل: ليس كذلك، لأنّ الإنسان خلق من مني يمني وسماه القرآن ماء مهينا. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات:20] ولأن هذا مما علّم بالحسن والتجربة.

ومن أسباب اختلاف العلماء في الباب اضطراب حديث عائشة رضي الله عنها، ولأنها قالت في بعضها كنت اغسل ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المني فيخرج إلى الصلاة وإن فيه لبقع الماء. " عن عائشة أم المؤمنين كُنْتُ أَغْسِلُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِنَّهُ لَيَرَى أَثَرَ الْبُقْعِ فِي ثَوْبِهِ ".⁴

¹ ابن قتيبة، مشكل القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، (ص 230).

² ابن العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الشرح المنع، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1422 - 1428 هـ (388/1).

³ أخرجه مسلم في الصحيح (باب حكم المني) (1/238)، رقم الحديث (288).

⁴ أخرجه ابن حبان في الصحيح، (باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن سليمان بن يسار لم يسمع هذا الخبر من عائشة) (222/4) رقم الحديث (1382).

والتحقيق: إن أصله طاهر ويبقى طاهرا ما لم يخرج. فإذا خرج نجس حكماً بل حقيقةً لكونه خارجاً من أحد السبيلين ولكونه مما تستقذره الطباع. والأصل أن يغسل لكن لا مانع من أن نفرق بين ما هو رطب وما هو يابس. وما يدل على ذلك أن القرآن سماه ماءً مهيناً ولم يقل ماء نجسا... إلخ.

المبحث الثاني: بيان مسيرة الإنسان ومبدئه ومنتهاه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أن الإنسان سائر إلى ربه في كبد ومشقة، طوعا وكرها في طريق يعاديه فيها ابليس وجنوده ونفسه.

القاعدة: الإنسان كادح إلى ربه كدحاً فهو ملاقيه في طريق يعاديه فيها الشيطان يأمره بالفحشاء والمنكر وينهاه عن المعروف ويغره غرا ويؤزه أزا ويوسوس به وسواسا ويفتنه ويغويه ويضله، ويزين ويسول له ويستحوذ عليه ويعده ويخوفه ويحزنه ويمنيه ويدله ويخزيه ويخذله ويهينه ويستهزئ به ويستعبده ويمسه بنصبٍ وعذاب، وصائر إلى النار إذا لم يتخذ عدواً. وعلاقة الشيطان بالإنسان علاقة عداوة، فعداوته له قديمة وحديثة مستمرة خطيرة، فهو الذي عادانا أول مرة فأمرنا باتخاذ عدوا. وما جعل الله له سلطانا على الصالحين منا.

الشرح: إذا دققنا النظر في القرآن نجد أيضاً أن هناك آيات كثيرة تدل على صحة هذه القاعدة. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الإنشاق:6]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:268]، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175]، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا . لَعَنَهُ اللَّهُ . وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . وَلَا ضَلَالَنَّهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ وَلَا مَرَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ لِي أَدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَهُمْ فَلْيَعَبِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ ۗ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:60 و117-121]، ﴿قُلْ أُنَدِّعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:71]، ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۗ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۗ فَلَا تَلْمُزُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم:22]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا

الشَّيَاطِينِ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَرْأَ ﴿[مریم:83]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:5-6]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف:5]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:53]، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ [الفرقان:29]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112]، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر:39-40]، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:41]، ﴿وَأَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:36]، ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ [المؤمنون:97-98]، ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:10 و 19]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:1-6]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:25]، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِيَّاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:27 ، 200 ، 201].

و في الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَبْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً»¹ . وأعوانه من الجنة والناس كذلك. وفوق ذلك: فهو: " يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ " .² فتنة، وغواية، وإضلالاً.

¹ اخرجه مسلم في الصحيح (باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس) (4/ 2167)، رقم الحديث 2813.

² اخرجه البخاري في الصحيح (باب صفة إبليس وجنوده) (4/ 124)، رقم الحديث 3281.

والخلاصة:

- إنه تعالى قال: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الإنشقاق: 6] أي يا أيها الإنسان لا محالة ولا مفرّ أنك كادح سائر وساعٍ طوعاً أو كرهاً بجِدِّ واجتهادٍ وعناءٍ وبإتعاَبِ نفسك في عملك من خيرٍ وشرٍ إلى جزائه تعالى وجزاء كدحك وسعيك وعملك.¹ وقيل: المراد بالإنسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم. لأنه كدح في دعوة الخلق إلى الحق.

والتحقيق: أن المراد بالإنسان العموم يدخل فيه صلى الله عليه وسلم دخولاً أولياً.²

- وإن علاقة الشيطان بالإنسان علاقة عداوة وإذلال وإهانة وسخرية، فعداوته له قديمة وحديثة مستمرة خطيرة، وهو العدو اللدود لبني الإنسان. فعلى الإنسان أن يستعيد بالله منه دأبا. لأنه لا يني، ولا يتخاذل، ولا يهدأ.
- وإنّ الشيطان لما علم ضعف الإنسان استضعفه فوعده الغرور والفقر والخلود فلما صدقه استهزأ به واستهانته واستذله واستعبده.

- وإن الشيطان هو الذي عادانا أول مرة فأمرنا باتخاذهِ عدوًّا. فمن لم يتخذ الشيطان عدواً يكون مهاناً قطعاً ودائمًا.

المطلب الثاني: بيان أن الإنسان له أول وآخر.

القاعدة: الإنسان له أول وآخر، فحياته عرضية مسبوقه بالعدم وفانية سيأتيتها العدم وهو ممكن الوجود، يستحيل له البقاء والقدم اللذان لا يشوبهما عدم بل خلق من عدم ومصيره إلى عدم، يفنى بالموت الذي يذوقه حتمًا. إلا أن هذا العدم ليس محضًا بل هو انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، تمهيدًا للوصول بالبعث إلى الدار الآخرة التي هي دار البقاء والقرار، ينبأ الإنسان فيها بما قدم وأخر وهو على نفسه بصيرة. فيحاسب بما أبدى وأخفى حساباً شديداً أو يسيراً.

الشرح: إذا دققنا النظر في القرآن نجد أيضًا أن هناك آيات كثيرة تدل على صحة هذه القاعدة.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]، ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مریم]

¹ ينظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 334/15. و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 356/8.

² ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (97 / 31).

9: و67]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالنَّسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: 2]، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: 105-108]، ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: 120]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34]، ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ۗ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15-16]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۗ كَلَّا ۗ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۗ وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ فِإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۗ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 99-103]، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [المؤمن: 39] ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۗ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: 34]، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۗ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۗ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: 47-50]، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۗ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۗ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۗ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۗ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: 17-22]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۗ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا﴾ [الكهف: 107-108]، ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 81]، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 76]، ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاَهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق: 8]، ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۗ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: 13-15]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۗ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 7-8].

هذا وإن الكفرة من الملاحدة والفسقة والفجرة يظنون أن الموت انتهاء مسار رحلة الإنسان، والخاصة الأبدية

له، حيث لا رحلة بعده، ولا حياة ولا بعثا ولا نشورا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[الأنعام: 29]، ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: 24]، ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: 32]، بل هي بداية حياة فيها الخلود بحق. يقول ابن القيم: جعل الله الدور ثلاثا: دار الدنيا، دار البرزخ، دار القرار. وجعل لكل أحكاما تختص بها.¹

- وإن الشيطان لما علم ضعف الإنسان استضعفه فوعده الغرور والفقر والخلود. فقال لأبينا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأخرج أبونا مما كانا فيه - أي من الجنة- وجعل بنيه يبحثون عن وسائل الخلود فيهلكون مالا لبدا على أمل العودة للحياة مرة أخرى فيقوم مترفونهم بتجميد أدمغتهم وأجسامهم. أما وعد الله الخلود فحق وسيكون في الآخرة لا في الدنيا.

- وإنه يجب على الإنسان أن يوقن بأن له بداية ونهاية وما جعل الله له الخلد. فمن لم يوقن بهذا فتستهويه شياطين الإنس والجن في الأرض حيران ويستهرئ به ويستذله ويستهيئه ويستعبده.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات

النتائج:

1- آدم بدع من الإنس والبشر والرسول فهو أبو الأنبياء وأبو الإنس وأبو البشر وهو النفس الواحدة، بدأ الله خلقه من طين وخلق منه زوجه حواء من ضلعه الأيسر ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وفي تسميته بآدم إشارة إلى كونه من تراب الأرض وفي وصفه بإنسان إشارة إلى كونه يأنس ويؤنس، يبصر ويبصر. وفي وصفه ببشر إشارة إلى كون جماله وحسنه وشأنه ظاهرا أظهره الله على كثير ممن خلق. وسخر له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما في جو السماء. وفي وصف ذريته ببني آدم إشارة إلى أمور منها أنه أول البشر وأنه خلق مستقل وأنه معصوم.

¹ ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الروح، دار الكتب العلمية - بيروت (ص: 88).

2- وفي القرآن كلمات مترادفة يجب تفسيرها في ضوء علم الفروق اللغوية فكلّ تفسير يبني على إنكار وجودها لا يخرج إلا نكدا بل هو من أضغاث أحلام. وكذلك كل تفسير يبني على عدم اعتبار الفوارق الدقيقة في مترادفات القرآن جسد ليس له خوار ولا يسر الناظرين.

3- إنه لا مانع لدينا أن يقول الناس ما يستشعرونه في ظلال الآيات القرآنية. إنما المانع أن يسموا هذا إعجازاً وأن يفرضوا علينا قبول ما يستشعرونه وهو من المواجد الشخصية الخاصة بهم. ومن الإنصاف التمييز بين القائلين بالإعجاز العددي فمنهم من هو منا يستحسن أن نوجههم توجيهها حسناً ونستفيد من قدراتهم وطاقاتهم.

4- إن علاقة الشيطان بالإنسان علاقة عداوة. فعداوته لنا قديمة وحديثة مستمرة خطيرة عظيمة، فهو الذي عادانا أول مرة فأمرنا باتخاذ عدوا. لا شك أنه قد اتخذ من عباد الله نصيباً مفروضاً فأعطى لبعضهم الإمامة فقالوا شططا فتراهم منهم ومما قالوا من أن الإنسان أصله قرد وأن آدم لم يخلق من تراب ولم يكن أباً للبشر.

5- إن علاقة الشيطان بالإنسان علاقة عداوة فعداوته لنا قديمة وحديثة مستمرة خطيرة عظيمة. فمن أشد مظاهر عداوته للإنسان أنه لما علم ضعفه استضعفه فوعده الغرور والفقر والخلود فلما صدقه استهزأ به واستهانته واستذله واستعبده.

6- الإنسان مكرم أصله فعليه أن يحافظ كرامته بالتقوى في القول والعمل؛ فكل شيء يؤدي إلى المساس بكرامته حرام أو مكروه.

7- الإنسان معصوم أصله لأن أبانا آدم نبي مكلم وذريته يولد على الفطرة، فكل شيء يؤدي إلى إنكار معصومية أصله مردود أو يؤول.

8- الإنسان حر بطبعه فكل ما يؤدي إلى المساس بحريته حرام أو مكروه.

9- القرآن فحص الإنسان فكشف مرضه وضعفه وما يوقعه في حرج وما يؤديه إلى الهلاك فهده إلى سبل العلاج والخلاص والفلاح.

التوصيات:

- أن يكون اهتمامنا بالتفسير الموضوعي في المؤلفات التفسيرية وبالكيفية لا بالكمية، وأن يكون التفسير الموضوعي مبنياً على الأصول والأسس السليمة في ضوء القرآن وآياته والسنة والروايات الصالحة للحجية والثواب العلمية والواقع. فكم من تفسير موضوعي يعتبر إلحاداً. وأنصح أن نقتصد في التأليف وفي الكلام

فيه معاً؛ لأن كثرة التأليف وكثرة الكلام فيه من أسباب ضياع العلم. ولأن الأصل عند الناس جميعاً عربياً وعجمياً الإيجاز والاختصار وعدم التكرار ولا يعدل عن ذلك إلى الإكثار والتطويل والتكرار إلا لنكتة وحكمة.

- أن نحافظ على كرامة أولادنا وطلابنا ليتعلموا ضرورة الحفاظ على كرامتهم وكرامة الناس جميعاً وحرمة المساس بكرامة الإنسان وبدينه وعقله وعرضه وماله ونفسه وحرية المطلقة التي لا ضرر فيها ولا ضرار. وأن نعلمهم أن كل شيء يؤدي إلى المساس بكرامة الإنسان هو حرام أو مكروه تحريماً أو تنزيهاً.

المصادر

القرآن الكريم.

- ابن أبي شيبة في **المصنف**، عبد الله بن محمد، (المتوفى: 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
- ابن العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، **الشرح الممتع**، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1422 - 1428 هـ..
- ابن العربي، (المتوفى: 543هـ)، **المحصل**، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة، دار البيارق - عمان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999.
- ابن حبان، محمد بن حبان، (المتوفى: 354هـ)، **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، الثانية، 1414 - 1993م.
- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني (المتوفى: 395هـ)، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن قتيبة الدينوري، (المتوفى: 276هـ) **تأويل مشكل القرآن**، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، دار الكتب العلمية - بيروت .

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ .
- أبو العباس الفيومي، أحمد بن محمد، (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
- أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم (المتوفى: 1403)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م .
- أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (المتوفى: 444هـ)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت الطبعة: الأولى، 1414هـ-1994م.
- أبي الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد، (المتوفى: 369هـ)، العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
- الألوسي (المتوفى: 1270هـ) تفسير الألوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (المتوفى: 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- البزار: أبو بكر أحمد بن عمر، (المتوفى: 292هـ)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

- بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن، (المتوفى: 1419هـ)، **القرآن وقضايا الإنسان**، دار العلم للملايين.
- بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي**، دار المعارف، الطبعة: الثالثة.
- البيهقي أحمد بن الحسين (المتوفى: 458هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
- الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: 279هـ)، **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م.
- الثعلبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: 875هـ) **تفسير الثعلبي**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، **زاد المسير في علم النفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (المتوفى: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- الرازي، (المتوفى: 606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم، الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (المتوفى: 1205هـ)، **تاج العروس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

- سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.
- شهاب الدين النويري، أحمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (المتوفى: 211هـ)، **تفسير عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1987 م.
- الطبراني سليمان بن أحمد، (المتوفى: 360هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- عبد الصبور شاهين، **أبي آدم**، دار أخبار اليوم، القاهرة.
- عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1396 هـ.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، **الفروق اللغوية للعسكري**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (المتوفى: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.
- مسلم بن الحجاج، (المتوفى: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **مقال في الإنسان دراسة قرآنية**، دار المعارف، القاهرة.

- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.